PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(4): 418-431
ISSN:1553-6939

Urban ecology and the problem of the urban space
-A sociological Analytical Approach-

KRABIA AMINA[1] , Nawel MAHROUG[2]

[1]Abdelhamid Ibn Badis University, Mostaganem, Algeria, E-mail: amina.krabia@univ-mosta.dz

[2]Ahmed bin Ahmed University, Oran 2, Algeria, E-mail: n.mahroug@yahoo.fr

Received: 04/2024, Published: 05/2024

Abstract:

This article comes within the theoretical articles that explain the most important theories of urban ecology and their relationship to the urban field, as they are the ones that explain the socio-ecological aspect of urban life. We will also explain how urban sociologists conceptualized and studied the urban environment and its impact on the individual in the city. Due to the lack of theoretical interpretive studies of urban ecology, which is considered an important aspect of the urban field, we wanted to research and delve into urban culture as a major element within anthropology and urban ecology.

Let us conclude that the urban individual is influenced by the environment in which he lives and produces his own specific behavior that comes after a period of social and environmental changes.

Keywords: urban ecology, urbanism, urban space.

الايكولوجيا الحضرية وإشكالية المجال الحضري
-مقاربة سوسيولوجية تحليلية –

كرابية أمينة[1] ، محروق نوال[2]

[1]جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر)، البريد الإلكتروني: amina.krabia@univ-mosta.dz

[2]جامعة احمد بن احمد وهران 2 (الجزائر)، البريد الإلكتروني: n.mahroug@yahoo.fr

ملخص :

يأتي هذا المقال ضمن المقالات النظرية المفسرة لأهم نظريات الايكولوجيا الحضرية وعلاقتها بالمجال الحضري، فهي التي تفسر الجانب السوسيو ايكولوجي للحياة الحضرية، كما سنوضح كيف تصور ودرس علماء الاجتماع الحضري، البيئة الحضرية وأثرها على الفرد في المدينة. ونظرا لقلة الدراسات النظرية التفسيرية للأيكولوجيا الحضرية التي تعتبر جانبا هاما في المجال الحضري، أردنا البحث والتعمق في الثقافة الحضرية كعنصر رئيسي

ضمن الانثروبولوجيا والايكولوجيا الحضرية. لنستنتج أن الفرد الحضري يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها وينتج سلوكا معينا خاصا به يأتي بعد فترة من التغيرات الاجتماعية والبيئية .

الكلمات المفتاحية: الايكولوجيا الحضرية، الحضرية، المجال الحضري .

1.مقدمة :

لم يعد الإنسان كائنا سلبيا متلقيا، بل أصبح قاد را على تغيير مناحي الطبيعة بشكل كبير، وذلك بتسيير المعطيات البيئية والتحكم فيها .لذا أصبح سلوكه يفهم في السياق الايكيولوجي العام ،عكس ما كانت البحوث الأولى تحاول فهمه في بيئة محددة ومقننة على أساس الفعل ورد الفعل .فهو يحقق التوازن بين المدخل السلوكي والمدخل الإيكولوجي. ولفهم السلوك فهما جيدا " ينكب علم النفس البيئي على دراسة العمليات السيكولوجية الأساسية مثل الإدراك كخلاصة القوى العقلية لفهم العالم الذي يحيط بنا والتعلم كعملية معرفية تستخدم المعطيات والمكونات البيئية ."

أما علم الاجتماع فقد تفتح على جميع التخصصات حول الكيان البشري والمكونات البيئية، قصد دمج العوامل الأساسية التي يمكن أن يجد من خلالها مخرجا لمعضلات مشكلات السلوك والبيئة .فيحدد الإطار النظري للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والبيئة ، دراسة العلاقة فيما بين الفرد وبيئته الفيزيائية والاجتماعية. وهنا طرحنا الإشكالية التالية وهي ما هي العلاقة الموجودة بين السلوك البشري والايكولوجيا الاجتماعية خاصة في سياق مفهوم العلاقات الاجتماعية والحضرية كثقافة أو سلوك اجتماعي يوجد في المدينة فقط حسب تفسير علماء الاجتماع الحضري.

ومن هنا كانت أهداف الدراسة تتضح في فهم نظريات الايكولوجيا الحضرية حسب تفسير علماء الاجتماع الحضري وذلك بربطها بأهم المفاهيم الحضرية كالثقافة الحضرية والسلوك الحضري .

2.تحديد المفاهيم

1.2.مفهوم الايكولوجيا الحضرية: ايكولوجيا علم يدرس علاقة الكائنات الحية فيما بينها وبين بيئتها الطبيعية التي تعيش فيها وأصبح المهتمون بهذا العلم يعملون على نشر الوعي بأثر البيئة في حياه الكائنات. (https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar13:00)

واصطلاحا: هي علم يهتم بدراسة علاقة الإنسان ونشاطه وخضوعه للظروف أو الشروط الفيزيقية،التي تتصل بالأرض والبيئة الطبيعية ،كما تركز على دراسة العلاقة المباشرة بين الإنسان الاجتماعي والبيئة الطبيعية ومدى تضامن الجهود الجماعية،والعلاقات الاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بتحديد الأفعال وردود الأفعال التي تربط الجهود الجماعية بعملية التكيف مع البيئة الطبيعية .(إسماعيل، 1985،ص159.)

يعود استخدام مفهوم **الايكولوجيا** إلى العالم البيولوجي الألماني **أرنست هايكل Ernst Haechel** عام 1869 حيث استخدم كلمة **écologie** ليشير بها إلى علاقة الكائن الحي، ببيئته العضوية والغير العضوية، إلا أن المصطلح في الأصل، مشتق من الكلمة اليونانية **okios** و معناها منزل أو مسكن والمعنى الأشمل هو من يَقيمون في المسكن ونشاطهم اليومي، ووظائفهم التي يقومون بها للعيش، لهذا فمعنى مفهوم كلمة **الايكولوجيا**، هو أنها العلم الذي يدرس الأفراد، الذين يعيشون في بيئة واحدة، ودراسة نشاطهم وتفاعلهم، مع عناصر البيئة، أما علماء الايكولوجيا الاجتماعية، فيحددونها في إطار دراسة البيئة الاجتماعية و تنظيمها، و العلاقات المكانية والنفسية الاجتماعية، التي تربط الجماعات والأفراد ببعضهم البعض، والآثار المتبادلة بين الأفراد و البيئة التي يشغلونها. (الخواجة، ط1، 2008،ص60)

إجرائيا: الايكولوجيا كعلم تعني المكان الذي يعيش فيه الإنسان وتشمل كل ما يحيط به سواء طبيعيا أو اجتماعيا.

2.2.مفهوم الحضرية: لغة: حضري منسوب إلى الحضر، وساكن الحضر ساكن المدن والقرى، حضر، عكس بادية وهي المدن والقرى ومنطقه حضرية معناها أهل الحضر سكان المدينة. (2023/08/6) (https://www.arabdict.com/ar)

اصطلاحا:تُعرف الحضرية على أنها أسلوب أو نمط حياة يتميز بها سكان المدن تفرضه الطبيعة الإيكولوجية الاجتماعية والثقافية للمدينة التي تكسب المدن ثقافة خاصة تسمى بالثقافة الحضرية، كما أصبح واضحا أن الحضرية هي الحصيلة النهائية لعملية التحضر أي هي تلك التغيرات الاجتماعية المصاحبة للتحضر بسبب إقامة الأفراد في المدن ويعرفها **لويس ويرث** بأنها نمط أو أسلوب حياة في مقاله الشهير المنشور عام 1983 بعنوان" **الحضرية نمط الحياة**" وأصبح مرجعا أساسيا في علم الاجتماع الحضري في الخمسينات والستينات من القرن العشرين وهو أن ايكولوجية المدينة بما تفرضه من تفاعلات وعلاقات تنتج عنها سلوكات وذهنيات تطبع حياة الفرد الحضري وتكسبه ثقافة خاصة تنعكس على سلوكه، كما يمكن أن تطلق عليها الثقافة الحضرية، حيث يكتسبها الفرد من خلال الإقامة في المدينة ويتلون سلوكه بلونها. (بومخلوف، ط1،2001.ص20.)

إجرائيا: هي كل ما يحمله العيش في المدينة وما يخلفه من ثقافة وسلوك .

3.2.مفهوم المجال الحضري: لغة: هو اسم مكان من جالَ في: "مجال النقل الجويّ." مكان، موضع "لم يبقَ له مجال في هذا الأمر "**لا مجالَ للخطأ / لا مجالَ للشكّ** : ليس هناك ما يدعو لذلك . فهو حقل أو ميدان أو نطاق **أفسح المجال** : أعطاه فرصة ليتقدّم، أمكنه من التحرُّك، **المجال الجوّيّ** : منطقة الفراغ الجوّيّ الذي يتبع بلدًا معيّنًا. (https://www.almaany.com)

اصطلاحا: يطلق المجال الاجتماعي على كافة الكائنات الحية من الإنسان والحيوان داخل إطار من التفاعلات البيولوجية المنطوية على تأثير زوج من الكائنات الحية في المجتمع على بعضهما البعض وذلك من أجل تبادل الخبرات، ومن هنا أطلق اصطلاح المجال الحضري للإشارة إلى الحياة والتفاعلات بين الأفراد في الوسط الحضري. ويعرف المجال الحضري أيضا على أنه هو عبارة عن أراضي مشغولة أو قابلة للتعمير داخل الوسط الحضري للخدمات السكانية، الصناعية، الإدارية والصحية، حسب أنماط خاصة ومختلفة الاستهلاك... (بوجمعة، 2005، ص25)

إجرائيا: هو المكان الاجتماعي الحضري الذي يعيش فيه الفرد وغالبا ما يعرف هذا المجال بالمدينة وهي عبارة عن مجتمع حضري يتم فيه تبادل العلاقات والسلوكات بين الأفراد في إطار مختلف عن الريف أو البادية..

3.نظريات الانثروبولوجيا الحضرية المفسرة للجانب السوسيو أيكولوجي

1.3.نظرية الايكولوجيا الاجتماعية

تعرف هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري، بالمدرسة الأمريكية أو مدرسة شيكاغو، حيث تشير إلى أعمال ثلاثة من رواد علم الاجتماع في أمريكا، و هم **روبرت بارك**،**أرنست بارجس**،**رودريك ماكنزي** فأعمالهم هي التي أعطت الإطار النظري، الذي انطلقت من خلاله العديد من الدراسات.

1.**روبرت بارك Robert Ezra parc**: حيث يعد مؤسس هذه النظرية، فهو يعتبر المدينة المكان الطبيعي لإقامة الإنسان المتحضر، ويرى أن "الإيكولوجيا ،تهدف إلى الكشف عن الأنماط المنتظمة، في المكان للعلاقات الاجتماعية (قيرة، 2004،ص53.) "ولهذا فُتن بخصائص الحياة الاجتماعية، في شيكاغو و لاحظ بعض التصورات الهامة عن المدينة ومنها:

- رأى المدينة الحديثة عبارة عن، بناء تجاري يدين في وجوده إلى السوق، كما أن المدينة تتميز بالتقسيم المعقد للعمل، زيادة على هيمنة السوق، التي أدت إلى انهيار الطرق التقليدية في الحياة الحضرية.
- تتسم الحياة الحضرية بالبناءات الرسمية، عن طريق وجود ما يسمى، بسيطرة البيروقراطيات على نطاق واسع، وتلعب الأجهزة البيروقراطية مثل البوليس المحاكم، المؤسسات العمومية التطوعية الخيرية و مؤسسات الرفاهية الاجتماعية دورا هاما في الحياة الحضرية.

تأثر **بارك بجورج زيمل**، في اعتباره الحياة المدنية، مكان تقل فيه العاطفة، و تكثر فيه العقلانية و كان يرى أنه، ربما يؤدي انهيار الروابط العاطفية، التقليدية في المدينة، إلى ظهور روابط اجتماعية جديدة معتمدة، على جماعات المصلحة والعلاقات الثانوية. (الخواجة، ط1، 2008،ص60) كما ركز **بارك**، في مقالاته الرائدة **"المدينة"** على بعض المقترحات، حول دراسة السلوك الإنساني في البيئة الحضرية، إلا أنه

يحاول فهم المدينة، بوصفها مكانا جغرافيا وكذلك اعتبارها نطاقا أخلاقيا، كما أنه يعتقد وجوب وصف المدينة، عن طريق التحليل الوظيفي، لإظهار إمكانات الحياة الثقافة و الأخلاقية فيها.

إلا أن ما أراده بارك كأيكولوجي، هو اكتشاف تأثير الظواهر الفيزيقية، (أي كل ما يظهر في المدينة)، في خيرة سكان المدينة الإنسانية و العاطفية ودورها في تشكيلها، ولهذا فهو يرى، أن الظروف النفسية و الأخلاقية للحياة، في المدينة سوف تعكس نفسها، بصورة طبيعية في كيفية استغلال المكان، وفي أنماط الحركة الإنسانية والانتقال....الخ.

كما يعتقد بارك أنه، يمكن استخدام المناهج والأنثروبولوجيا، في دراسة جوانب الحياة المدنية، وخصوصا الثقافات الهامشية كالعصابات والمهاجرين المنعزلين المقيمين في أحياء **"الجيتو"** و الفروق بين الناس وفقا لمجال إقامتهم. (الخواجة، ط1، 2008،ص61)

2.**أرنست بارجس E. Burgess** : ينظر برجس إلى الجانب الايكولوجي في المجال الحضري باعتباره عملية ديناميكية، تتجسد بشكل واضح في النمو الفيزيقي للمدينة، ويتمثل هذا النمو بالتوسع المكاني داخل المدينة، وهذا ما نجده عند تعميم اهتمامه من التوسع المكاني إلى بحث إثر هذا التوسع على التنظيم الاجتماعي والشخصية. حدد برجس مؤشرا لفهم هذه العملية الايكولوجية، وهو مؤشر التوسع المكاني المتوازن. من خلال نظريته **الدوائر المتمركزة** أو **بالتصور الحلقي** ومعناه أن المجال الحضري أو المدينة، تأخذ شكل خمس حلقات متحدة المركز، تمثل الحلقة الأولى منها منطقة الأعمال المركزية، و فيها تدور أكثر نشاطات المدينة كافة، و تقع على أطرافها حلقة ثانية هي منطقة التحول والانتقال، التي تتعرض و باستمرار، للتغير نتيجة اتساع ونمو الحلقة الأولى، كما تتميز بكثافتها السكانية العالية، وظهور التفكك الاجتماعي، أما الحلقة الثالثة فتضم منطقة سكنى الطبقات العامة، و يليها منطقة الفيلات و في النهاية، تقع الحلقة الخامسة خارج حدود المدينة، حيث تشكل الضواحي والأطراف، مناطق سكنية لذوي الدخل المرتفع هذه الحلقات الخمسة، تمثل في نظره مناطق متتابعة من الامتداد الحضري، وهو في تأكيده لهذا الوصف الفيزيقي، ذهب إلى أن ظاهرة النمو الحضري، هي نتيجة لازمة لعمليات التنظيم والتفكك في نفس الوقت، تشبه تماما عمليات الهدم و البناء في الكائن العضوي. (Yves، 1998 ,p257)

تحدث **برغس** عن الأراضي الحضرية والجوانب الاجتماعية للمجتمع الحضري من خلال هذا التصور للمجال الحضري وكانت دراسته مركزة على متابعة نمو المدينة الفيزيقي وتمايزها مجاليا، وانطلقت من فكرة أساسية ، هي أن أسعار الأراضي ترتفع بشكل تدريجي كلما اقتربنا من مركز المدينة ليؤكد أن أقصى الأسعار تتركز في قلب المدينة. وانطلاقا من ذلك فإن المدينة تنمو على شكل حلقات ودوائر متناقصة ومتعددة المراكز.

3.رودريك ماكنزي: جاء ليوضح القوانين و العمليات، التي تعمل داخل الكيان الحضري ليفسر وجود المناطق، التي تحدث عليها كل من **بارك** و **بيرجس**، كالمركز و الضواحي وذلك من خلال عمليات المنافسة، التركيز، الإبادة العزلة الغزو، التعاقب ورأى أنها منشأ أو توحد هذه المناطق الطبيعية، التي تشكل البناء الفيزيقي للمدينة.

والمقصود بالغزو العمراني invasion urbaine هو انتقال الجماعات والأفراد، من منطقة لأخرى، و يسمى أحيانا بالهجرة و قد يكون على نطاق واسع، وقد يضيق نطاقه فيقتصر على تحريك بعض الجماعات، بقدر محدود. (Boudon, 2003 ,p66)

أما العزلة isolement فتتخذ مظهران، يمثل المظهر الأول **العزلة الفكرية والمذهبية**، بمعنى أن الجماعات التي تمارس العزلة، من الممكن أن تظاهر غيرها، أو تدخل في علاقات اجتماعية مباشرة مع الآخرين، رغم التباعد الفكري أو المذهبي، أما المظهر الآخر، فهو **العزلة الكاملة**، من الناحيتين الاجتماعية والمكانية، فلا تختلط هذه الجماعات بغيرها، ولا تتعامل إلا في أضيق الحدود، وتحافظ بقدر الإمكان على مقوماتها، وخصائصها وتراثها الاجتماعي، ليعبر عن المظهرين معا **بالعزلة البشرية**. (الخواجة، 2008،ص70)

كما يعد كل من **دنكان** و **شنور** و**هاولي** من أهم أقطاب النظرية الأيكولوجية أيضا، حيث توصلا إلى أن درجة **التحضر**، بالمجتمع تتناسب طرديا من طبيعة نظام **تقسيم العمل**، بالمجتمع الحضري بمعنى أنه كلما ازدادت درجة تقسيم العمل الاجتماعي، بالمجتمع الحضري الصناعي ارتفعت درجة التحضر به كما أن **التحضر** يتناسب طرديا مع **التطور التكنلوجي**، وفي منتصف الأربعينات من القرن العشرين صاغ كل من **هاريس** و**أولمان** نموذج النوايا الذي يذهب إلى أن نمو المدينة لا يعتمد على نواة واحدة وإنما على نوايات متعددة. (الخواجة، 2008،ص71)

إذن ركزت نظرية الأيكولوجيا الاجتماعية، على الجانب الاجتماعي أو البيئة الاجتماعية الحضرية وكل ما له علاقة بالمدينة و تقسيمها الأيكولوجي، من مركز و مناطق أخرى تابعة لأن المدينة من وجهة نظر هذه النظرية، هي عبارة عن نظام إيكولوجي، في تغير مستمر، فكل ما يتعلق بالجانب الإنساني والبشري، داخل هذه المدن يطلق عليه مصطلح، **"الإيكولوجيا البشرية"** أو **"الايكولوجيا الاجتماعية"**، التي تتمحور دراستها حول القيم والمعايير الثقافية، التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع الحضري، وهذا تمييزا لها عن الإيكولوجيا الحيوية، التي تهتم بالتركيب المادي والحيوي للبيئة والتوزيع المكاني لأفراد المجتمع.

2.3.النظرية النفسية الاجتماعية

يمثل الاتجاه النفسي الاجتماعي، كل من علماء اجتماع المدرسة الألمانية، كما عُرفت بالمدرسة الكلاسيكية، وكذلك بالاتجاه السلوكي أو التنظيمي في علم الاجتماع، وذلك لاهتمامها بالسلوك و الفعل والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية، كما اهتمت بالمظهر التنظيمي للحياة الاجتماعية الحضرية، على اعتبار أن الفرد يوصف بالحضرية، بناءا على نمط سلوكه و ليس بناءا على مكان إقامته، على اعتبار انتشار الفعل الاجتماعي العقلاني، في المدينة و زوال السلوك العاطفي.

حيث اتفق في هذه الأفكار كل من **ابن خلدون، فرديناند تونيز وماكس فيبر،جورج زيمل وشينجلر**،فالسلوك الذي يترتب عنه أفعال اجتماعية حضرية، هو نتاج كما قلنا للطبيعة المعقدة لحياة المدينة، لما تتميز به من كثافة بشرية و تجاوز للمباني و تنوع للسكان، هذا ما جعل الفرد حسب رأى هولاء المفكرين يصبح سلوكه عقلانيا أو أكثر عقلانية في علاقاته، حتى يضمن لنفسه التكيف والاستمرار، وكثيرا ما نجد هذه الفكرة عند **ابن خلدون** من خلال حديثه عن أهل الحضر، الذين يمتازون بالحيلة و الذكاء، بسبب حياة المدينة التي أكسبتهم ذلك، ومع تعاقب الأجيال يصبح ذلك خلقا فيهم ومزاجا لهم أو ملكة في شخصهم. (الخواجة، ط1، 2008،ص72)

كما نجده أيضا عند **سبنسر هاربلت**، في حديثه عن التطور و ظهور المجتمع الصناعي المعقد و**جورج فريدمان** من خلال تمييزه بين الوسط الطبيعي الذي يتمثل في الريف،و الوسط التقني المتمثل في الوسط الحضري، الذي يفرض على سكان الحضر بسلوكات ومؤهلات حضرية من أجل الاستمرار. (بومخلوف، ط1،2001.ص72.) وهنا يبدو واضحا أن هذه النظرية النفسية الاجتماعية، تهتم بالسلوك و الفعل الاجتماعي فتحلله من خلال تأثير الوسط والبيئة الاجتماعية للفرد، فالحياة الحضرية هي بيئة مركبة اجتماعيا وجغرافيا أكسبت الفرد سلوكا حضريا يختلف عن السلوك الريفي.

1.ابن خلدون:يتحدث عن المجتمع الحضري من خلال ثنائية البدو و الحضر، موضحا ذلك في أحوال مجتمعه حيث وجد أن هناك فئتين، فئة أساس فئة، فالبدو أساس الحضر، وبين هذين الفئتين اختلاف إلى حد التضاد والتصارع دائما، و لهذا لا يمكننا الحديث عن العمران الحضري إلا بالتعرض للعمران البدوي، و هذا ما يوضح لنا فهم الموضوع بضده، كما أن البداوة التي قام **ابن خلدون** بدراستها، تعتبر نمط من أنماط الحياة المجتمعية وتعتبر بداية التكيُف الاجتماعي، لكل من الفرد والجماعة والمجتمع مع الظروف البيئية الصعبة والقاهرة، التي أحاطت به، وارتكز هذا التكيُف سواء بالنسبة للإنسان أو الجماعة أو المجتمع البدوي على مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأعراف والنُظم، التي مكنته في النهاية من أن يحيا ويستمر على الرغم من العُزلة شبه التامة المفروضة عليه. (بومخلوف، ط1،2001.ص71.)

لهذا أوضح **ابن خلدون** خصائص ظاهرة البداوة، دائما مقابل خصائص الحضارة في مقدمته فإذا كان البدو شُجعان فان الحضر جُبناء، وإذا كان البدو متوحشون فإن الحضر مترفون، وإذا كان البدو طيّبُوا الخُلق، فالحضر أفسدتهم الحضارة، وجعلتهم مخادعين وكاذبين، والبدو يدافعون عن أنفسهم أما الحضر يفزعون لكل هزة، وأوكلوا أمر الدفاع للدولة أو يستأجرون من يتولى أمرهم. وإذا كان الحضر يحترمون حقوق غيرهم،فالبدو

لا يؤمنون إلا بلغة السيف. (الفوال، ب.س، ص74) هذا ما يوضح لنا أن البيئة الاجتماعية تؤثر في سلوك وأخلاق الأفراد، فالبدو تأثروا بالبداوة والحضر تأثروا بالتحضر والحضارة، فالإنسان ابن بيئته.

2.ماكس فيبر:يعتبر كتاب **ماكس فيبر "المدينة"** 1905 أول عمل علمي، لدراسة الحياة الحضرية من الناحية السلوكية الاجتماعية، كما قال **ريتشارد سنت R.Sennett** (العاطي، 1990 ،ص417.)فهو يعد ممن بحث في المدينة عن الظروف التي تجعل دور المدينة إيجابيا و ابتكاريا، في الحياة العامة للإنسان، لذلك بحث عن المدن في الماضي بدلا من الحاضر، حيث كان ذلك بمثابة النقد الذي يقدمه **فيبر** للحياة الحضرية الحديثة ويرى أن السلوك العقلاني للفرد الحضري، هو نتيجة للحياة الحضرية، حيث لا تستقيم حياة الفرد إلا بذلك السلوك و إلا تتعرض حياته للمعانات. قاصدا بذلك أن المدينة، هي التي ساهمت في تقويم سلوكه، ومن تم تساهم في التغير الاجتماعي، فالبيئة المتمثلة في المدينة، هي التي أكسبت الفرد السلوك العقلاني.

3.يركز **جورج زيمل** في تحليله للمدينة، على التفاعل الاجتماعي، فيتجه إلى دراسة الصورة النفسية للحياة الإنسانية في بيئة حضرية، فمصالح الأفراد و احتياج بعضهم البعض، هي التي تدفعهم في الحياة الاجتماعية، نحو الأفعال المتبادلة، التي تتكرس في التفاعل والتبادل، اللذين يأخذان أشكالا متعددة، ومع هذه التفاعلات، يسميها **زيمل بالألفة الاجتماعية** La sociabilité حيث تتشكل جوهر العلاقات الإنسانية.إذ يرى **زيمل** أن الأجر و العمل سبب في استقلال الفرد عن جماعته الأولى(العائلة القبيلة،القرية)، مما يجعله يرتبط بتجمعات بشرية حسب متطلباته الشخصية ومصلحته.

ومن هنا يحلل عقلية الفرد الحضري و سلوكاته، إلى أن ساكن الميتروبوليس، يواجه دائما بالعديد من التوترات، لهذا ينمي في ذاته، عقلية تقيه عناصر البيئة الخارجية، التي تحاول دائما اقتلاعه والإطاحة به، تتمثل هذه العقلية، في ضرورة أن يستجيب ساكن المدينة، ويتفاعل بعقله لا بقلبه، ذلك لأنه إذا استسلم لعواطفه ومشاعره في تفاعلاته، كان الضياع قدره لا محالة وحسب نظريته، فإن الظروف التي تحيط بالحضر، قد حولت حياة المدينة، من صراع مع الطبيعة من أجل العيش والبقاء إلى صراع ما بين البشر من أجل الربح والكسب، كما أنها حلت وفككت الروابط الشخصية محل الروابط الشخصية الوثيقة، ودفعت بالفرد في اتجاه يتعين عليه فيه، أن يستدعي كل ما في وسعه لتحقيق الفردية. (غيث، ب،س ص32.)

4.أوزفالد شينلجر Oswald Spengler: وهو من المفكرين الألمان، الذي يعتقد أن المدينة الكبيرة في عصره، تعمل على إفساد نشاط و حيوية وطاقة من يقيم بها، حيث تتميز بالطابع الروتيني وتصبح الحياة فيها قاسية. (ياسر خواجة، ص58.) ألف كتابه المشهور **تدهور الغرب Le déclin de l'occident** الذي يرى فيه أن ثقافة المدينة الغربية، قد أخذت في التدهور و التفسخ منذ بدايات القرن 20 ، كما يرى أن دورة الحياة الحضرية، تنطبق على إفساد سكانها، عن طريق اختفاء الطابع النظامي، على عمليات العلاقات البشرية المتبادلة، يجعل

هذه العمليات روتنية وغير عاطفية، فيقول:"إننا لا نستطيع أن نفهم التارخ السياسي و الاقتصادي، ما لم ندرك أن المدينة بانفصالها التدريجي عن الأرض، قد أدت إلى إفلاس الريف، فتاريخ البشرية، ليس إلا تاريخ المدينة كما أن كل ثقافة، هي موجهة في الأساس نحو ذلك النموذج، الذي يتلاءم والمدينة العاصمة في كل بلدان العالم." (الخواجة،ص.59).

فكلما نمت المدينة، و زاد توسعها كلما تطور سوق المال، لأن هذا الأخير، أصبح القوة المسيطرة و أصبح شكلا من أشكال النشاط، الذي يوقظ باستمرار شعوره بالوجود و البقاء، حتى أصبحت المدينة، تمثل دكتاتورية المال غير المحدودة.

زيادة على هذا يؤكد **شنجلر**، على أن المدينة، تنشأ بثقافة روح شعبية **folk spirit**، (إسماعيل، 1985،ص159.)تمر في المراحل الأولى من تطورها، و هذه الروح تمنح الثقافة هويتها، و حينما تنمو المدن تدريجيا، فان ذلك يؤدي إلى تغيير هذا الطابع الثقافي، نتيجة تشجيع الفردية والانفصالية، بين أعضاء المدينة وهكذا تتشابه جميع المدن الكبرى، طالما أنها نشأت في الأصل، عن ثقافة واحدة، هذا التشابه هو علامة المرض والتغير والأُفول الداخلي، وإلى هنا يبدو الاتفاق واضحا، بين كل من **فيبر و زيمل وشنجلر**، مؤداه التأكيد على العقلية الحضرية، رغم اختلاف كل منهما في تفسير هذه العقلية، إلا أن كلهم استعملوا تفسيرا نفسيا إجتماعيا، للسلوك الحضري للأفراد وتحليلهم لظروف الحياة في المدينة الحديثة.

3.3. نظرية الثقافة الحضرية

تنطلق هذه النظرية من أعمال كل من **لويس ويرث** و **روبرت ردفيلد**، اللذان ينتميان لمدرسة شيكاغو، حيث تنظر هذه النظرية إلى الحضرية باعتبارها ثقافة ناتجة عن الحياة في المدنية، و ذلك عندما صوروا الحضرية، بأنها طريقة للحياة تتميز بها المدينة، نظرا لما تتمتع به من خصائص وسمات اجتماعية، تميزها عن الحياة الاجتماعية الريفية. وفي تشخيصهم للثقافة الحضرية فإن هذه النظرية تتداخل كثيرا مع المدرسة الألمانية وخصائصها التي حددتها عن سكان المدينة، فهم يختلفون فقط في الاتجاه فالمدرسة الألمانية تتجه اتجاها نفسيا أما نظرية الثقافة تتجه اتجاها ثقافيا.

1.لويس ويرث: و تعود الدعائم الأولى لهذه النظرية، من خلال المقال الذي نشره **لويس ويرث** سنة 1938 بعنوان **"الحضرية كطريقة للحياة"**، والذي يعد عملا كلاسيكيا أرسى من خلاله الدعائم الأولى لهذه النظرية. وحاول الكثير من علماء الاجتماع، الإجابة على التساؤل المطروح حول الأنماط والعمليات التي تتضمنها عملية تحول طريقة الحياة السابقة على التصنيع والتحضر إلى نظام صناعي حضري؟ وللإجابة على هذا التساؤل فأول ما أجاب هو تعريفه للمدينة ومؤداها: أنها "موطن دائم وكثيف وكبير نسبيا لأفراد غير متجانسين من الناحية

الاجتماعية وأن الحجم والكثافة واللاتجانس تخلق بناءا اجتماعيا، تستبدل فيه علاقات الجماعة الأولية باتصالات ثانوية، ذات طابع غير شخصي وانقسامي، سطحي و مؤقت ونفعي،لينتهي الأمر بساكن المدينة إلى أن يصبح شخصا يتسم بالانعزالية السطحية و العقلانية، ويضطر لكي يؤدي وظيفته بنجاح إلى الارتباط مع الآخرين، لينظم معهم روابط واتحادات طوعيه، وأشكال رسمية، كضبط السلوك ووسائل غير شخصية، من الاتصال الجماعي. (السيد،ص237.)

هذا السؤال كما قلنا، دار حول الصور والأشكال الجديدة، للحياة الاجتماعية والذي قد ينجم عن الخصائص الأساسية المميزة للمجتمع الحضري(الحجم،الكثافة اللاتجانس) فكانت الإجابة كالتالي: يفترض **ويرث** أن الكثافة والحجم الزائد، والتغاير واللاتجانس يعتبران متغيرات أساسية أو مستقلة أو خصائص، مميزة للمجتمع الحضري تسلم بدورها إلى عدد من الخصائص التي ترتبط بطبيعة الحياة الحضرية، وشخصية ساكن الحضر وهو يرى أنه كلما كبرت المدينة اتسع نطاق **"التنوع الفردي"**، مما يؤدي إلى انتشار علاقات اجتماعية، ذات طابع انقسامي سطحي من خلالها يتعرف الحضري على عدد أقل من الأفراد، وبدرجة أقل من المودة، إلى جانب سيطرة علاقات المنفعة، وهنا يقول:"إن معرفتنا بالآخرين تميل إلى أن ترتبط بعلاقات المنفعة". (غيث،ص12.)

بمعنى أن الدور الذي يلعبه الآخرون، في حياتنا ينظر إليه على أنه، وسيلة لانجاز وتحقيق أهدافنا وفي الوقت الذي يستطيع فيه الفرد، أن يحقق أعلى درجات التحرر من القيود العاطفية التي تفرضها الجماعات القرابية، يعني هذا أن نمو المدينة وتنوعها يؤديان إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها، وهذا العامل يعد من أهم العوامل الأساسية التي تفسر ضعف العلاقات القرابية والأسرية، في المجتمع الحضري لأن ما شهدته هذه الأخيرة من تنظيمات ومؤسسات جعلت جماعة الأسرة تتخلى بالتدريج عن وظائفها، كما دفعت أعضائها إلى الاستغناء عن العلاقات مع ذويهم، من الأقارب فيما يتعلق بتقديم العون والمساعدات والخدمات، يستعين بالجماعات الاجتماعية الأخرى بالمدينة، كالأصدقاء ورفاق العمل وغيرها وهذا ما قلص سلطة العائلة عن أعضائها حسب **ورث** وما جعل الروابط القرابية بالوسط الحضري تتسم بالضيق والسطحية. (Yves، 1998 p257, 258)

- رأى **ويرث** أن الحجم والكثافة والتباين متغيرات مستقلة، لكل أنواع الفعل الاجتماعي الحضري تؤدي إلى انتشار العلمانية والعلاقات الثانوية، والروابط الطوعية وسيطرت الأدوار الانقسامية ...الخ

- كما يوضح **ويرث**، أنه إذا ازداد السوق نموا صاحبه، زيادة كبيرة في تقسيم العمل، مما يؤدي إلى قيام المدن بوظائف اقتصادية مختلفة، تعتمد فيها على مواردها الخاصة، وقد يمتد التخصص إلى طابع المدينة فتتخصص واحدة في منتجات وتتخصص أخرى في منتجات مختلفة، ولهذا تتحول أسواق المدن إلى أسواق قومية ودولية.

- يرى وجود اختلاف واضح بين الاتصال الفيزيائي في المدينة وبين الاتصال الاجتماعي فالأول يتميز بالشدة بينما الثاني يتميز بالسطحية، مما جعل السكان في المدينة يُصنفون إلى فئات لكل منها رموز تدل عليها تتمثل في أزيائهم أو ممتلكاتهم المادية، ويقصد **ويرث** بذلك، أن المدينة تنقسم إلى فئات أو طبقات أو ربما إلى مناطق متمايزة المستوى الاجتماعي والاقتصادي يمكن إدراكها بسهولة عن طريق بعض الخصائص، التي تتعلق بالزى أو اللهجة أو العادات أو المستوى المعيشي العام. (غيث،ص13،12.)

حسب ما جاء به **ويرث** في هذه النظرية، هو أن كل ما يتميز به الأفراد في المدينة، من علاقات سطحية ونفعية، وكذا اللباس واللهجات، يعود بالدرجة الأولى إلى النمو السكاني وزيادة حجم المدينة لأنه كلما كبرت المدينة، كلما زاد فيها التغير الاجتماعي، يعني هذا أن الحضرية هذه الصفة الموجودة في المدينة فقط، هي التي جعلت الأفراد يمتازون بالصفات الحضرية من لا تجانس مع ضعف في الروابط والعلاقات الاجتماعية وكأنه يريد تفسير أن البيئة الحضرية بكل ما تملك من تحضر تلعب دورا كبيرا في ظهور ثقافة حضرية خاصة لامتجانسة.

2.رادفيلد روبرت: وله نفس التفكير و الاتجاه **لويرث**، يرى أن المجتمع الحضري لديه خصائص وثقافة مميزة، تبدو واضحة، في ضوء اختلافها عن خصائص و ثقافة **"مجتمع الفولك" Folk Society** حاول أن يوضح، كيف أن الفروق بين المجتمعات الحضرية والشعبية، ترتبط بتطور بناء المدينة ذاتها، في**"كتابه ثقافة الفولك عند اليوكاتان"** (العاطي، 1990 ،ص419.)وهي من أهم أعماله، التي نشر فيها نتائج دراسته الميدانية، عرض فيها إطاره التصوري، الذي حدد فكرة متصل الفولك الحضري.

لقد قام **رادفيلد** بدراسة أربعة مجتمعات محلية، في "شبه جزيرة اليوكاتان بالمكسيك"، افترض أن كلا منها، يمثل نقطة متميزة على طول متصل، متدرج يبدأ **بمجتمع الفولك** و ينتهي بالمجتمع الحضري. فكانت "مدينة الميريدا"، واحدة من المجتمعات المحلية الأربعة، التي قام **ردفيلد** بدراستها،كما كانت في نفس الوقت، أكبر مدن "شبه جزيرة اليوكاتان"، وشملت عددا من الخصائص التي ارتبطت بالنموذج المثالي الحضري، كالتمايز الطبقي الواضح، تقسيم العمل المعقد، وانتشار الصناعة والتجارة واللاتجانس المتعدد الأبعاد بين السكان. وكانت قرية **"توسيك"** المجتمع المحلي الثاني في دراسته تجمع قبلي صغير، يقف سكانه موقفا عدائيا من جيرانهم المتحضرين، أما المجتمعان الآخران **"شانكوم وديتاس"** الذي بدأ طرفه الأول بمجتمع الفولك، وانتهى بمجتمع أكثر تحضرا، أما **"ديتاس"** وهي المجتمع المحلي الرابع في دراسة **رادفيلد**، فقد مثلت خطوة أبعد في طريق التحول،

من نموذج الفولك إلى النموذج الحضري، وكانت تجمع ما بين الخصائص الريفية و الحضرية، في منتصف الطريق الذي مثله متصل الفولك الحضري عند **رادفيلد**. (العاطي،ص89،88.)

واتضح أن المجتمعات المحلية الأربعة التي درسها **رادفيلد**، تختلف فيما بينها اختلافا واضحا وهذا الاختلاف التدريجي، بدأ بمدينة وهي "**ميريدا**"، وانتهى بقبيلة وهي "**توسيك**"، و هنا كان أساس فكرته عن الفولك، يعني ذلك أن المجتمعات الأربعة، عرفت عملية تغيير وتطور حضري تدريجي و بعد هذه الدراسة خرج بنتائج، وهي: وجود عشر متغيرات أساسية، يمكن من خلالها ترتيب المجتمعات الأربعة كما لو كانت تمثل تزايدا أو تناقصا تدريجيا في كل منهما. (العاطي،ص92)

نلاحظ أن **رادفيلد** تصور هذه النظرية، كنموذج للحياة البدائية البسيطة، التي نجدها أساسا في القبائل والقرى الصغيرة، فكان النموذج البدائي، نقطة ابتداء لعملية تطور الحضارات والمجتمعات الانسانية، وتصور النظرية بوجود خط، يمثل مراحل التطور،التي تبدأ عند نموذج المجتمع البدائي الذي أطلق عليه **رادفيلد**، اسم المجتمع الشعبي أو مجتمع الفولك، أما ما بين البدء و الانتماء فتشمل مراحل تطورية.

4.خاتمة

نستنتج في الأخير أن النظريات المفسرة للايكولوجيا الحضرية وعلاقتها بالمجال الحضري، وضحت العلاقة بين التفكير و سلوكات الأفراد في المدينة، التي تعتمد على العقلانية، والفردانية وقد تصل في الغالب من الأحيان إلى علاقات وروابط مصلحية حيث تضعف الروابط القرابية، والجماعات الأولية بصفة عامة كما فسرها **كولي**، عما كانت عليه في المجتمعات الريفية أو الفولك كما سماها **رادفيلد**.

وكل هذا يشير إلى أن الايكولوجيا تؤثر تأثيرا كبيرا على سلوكات الأفراد في المدينة. كما أن ما انتهت إليه أفكار **ويرث ورادفيلد** من نتائج أو تصورات نظرية، جعلت المدينة تأخذ محتوى ثقافيا خاصا، لتصبح تبعا لذلك متغيرا تحليليا لتفسير هذا المحتوى، بحيث تعرض الثقافة الحضرية باعتبارها طريقة للحياة، ولولا تلك المتغيرات السيكولوجية، التي أكدها كل من **فيبر وزيمل وشينجلر** لأدرجنا منظوراتهم ضمن النظرية الثقافية، لأنهم حاولوا هم أيضا إبراز خصائص الثقافة الحضرية وذلك باتباعهم مدخل سيكولوجي واضح ومميز.

وهنا يرى **موريس Moriss** (غيث،ص18)أن **ويرث**، لم يقصد أن الحضرية كطريقة في الحياة تقتصر على سكان المدينة، لأن آثار المدينة يمكن أن تمتد إلى أبعد من حدودها الإدارية، كما أن سكان المدينة ليسوا جميعا حضريون بالضرورة، لأن جزءا منهم صغير أم كبير، قد يكون مهاجرا إليها ولم يتفاعل بعد، أو لم يكتسب سمات الحضرية ولهذا لم يربط بين وجود السكان في المدينة و بين إتباعهم لطرق حضرية في الحياة، وذلك لأن الحضرية تعبر عن مجموعة النظم الاجتماعية والاتجاهات، التي تظهر عندما يستقر الناس لمدة طويلة وتزداد

وتتغير في نفس الوقت، إذا ازداد حجم المدينة أو نمت إلى ما لا نهاية لهذا فخصائص الحياة الحضرية عند **ويرث**، هي النتائج المصاحبة للبيئة الواسعة، ذات الكثافة السكانية الكبيرة، التي تتميز بعدم التجانس.

كما بدى وجود صلة أيضا، ما بين أفكار **ويرث وردفيلد**، من ناحية و بين **فيبر وزيمل وشينجلر** من ناحية أخرى ونلاحظ تأثرهم بالأوروبيين في دراسة المدينة و الحضرية. وعلى المستوى الأمبريقي وأوضحت الدراسات الحديثة التي أجراها بعض الباحثين الأمريكيين، أمثال **جوردن W.Gordon وهو ايت W.F.Whyte** أن **رادفيلد** كان مبالغا إلى حد كبير في تقدير العلمانية و التفكك كسمات مميزة للمجتمع الحضري حتى في الولايات المتحدة الأمريكية، فلقد توصل **أوسكار لويس O.lewis** إلى أن تحضر مدينة **المكسيك**، لم يصاحب بالضرورة تدهور النظام الاجتماعي والأخلاقي.

قائمة المراجع

المؤلفات العربية

إسماعيل قيرة (2004)، **علم الإجتماع الحضري ونظريته**، قسنطينة، الجزائر، منشورات جامعة منتوري.

بوجمعة خلف الله، (2005)، العمران والمدينة، عين مليلة، الجزائر،دار الهدى.

عبد العاطي السيد (1990)، **علم الاجتماع الحضري**، مدخل نظري، ج1، مصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

عبد العاطي السيد (2007)، البيئة والمجتمع، الإسكندرية ،مصر، دار المعرفة الجامعية.

محمد إسماعيل قباري(1985)، **علم الاجتماع الحضري ومشكلات التجهيز التغيير والتنمية**، الإسكندرية، مصر، منشأة المعارف.

محمد بومخلوف (2001)، **التحضر**، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد عاطف غيث(ب.س)، **علم الاجتماع الحضري مدخل نظري**،دار النهضة العربية، لبنان.

محمد ياسر الخواجة(2008)، **علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الو اقعي**، مصر، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع.

مصطفى الفوال (ب.س)، **علم الاجتماع البدوي**، مصر، القاهرة، دار النهضة العربية .

المؤلفات باللغة الفرنسية

Boudon, raymond,(2003), y-a-t-il encore une sociologie? ,pariséd odile jacob.

Yves, GRAFMEYER,(1998), Joseph, ISAAC, **L'école de Chicago**, **Naissance de l'écologie urbaine**, Paris, Aubier.

مو اقع انترنت

https://www.almaany.com.2023 معجم عربي عربي، يوم 08 اوت

https://www.arabdict.com.2023 معجم عربي عربي، يوم 13اوت

List of references in english

Ismail Guira (2004), Urban Sociology and Its Theory, Constantine, Algeria, Mentouri University Press.

Boudjemaa Khalafallah, (2005), Al-Omran and the Medina, Ain Melilla, Algeria, Dar Al-Huda.

Abdel Ati Al-Sayed (1990), Urban Sociology, A Theoretical Introduction, Part 1, Egypt, Alexandria, Dar Al-Ma'rifa University.

Abdel Ati Al-Sayed (2007), Environment and Society, Alexandria, Egypt, Dar Al-Ma'rifa University.

Muhammad Ismail Qabbari (1985), Urban Sociology and Problems of Equipment, Change and Development, Alexandria, Egypt, Mansha'at Al-Ma'arif.

Muhammad Boumakhlouf (2001), Urbanization, Algeria, Dar Al-Umma for Printing, Publishing and Distribution.

Muhammad Atef Ghaith (B.S.), Urban Sociology, A Theoretical Introduction, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya, Lebanon.

Muhammad Yasser Al-Khawaja (2008), Urban Sociology between Theoretical Vision and Realistic Analysis, Egypt, Al-Isra House and Library for Printing, Publishing and Distribution.

Mustafa Al-Fawal (B.S.), Bedouin Sociology, Egypt, Cairo, Dar Al-Nahda Al-Arabiya.

Writings in French

Boudon, Raymond, (2003), is there still a sociology? ,pariséd odile jacob.

Yves, GRAFMEYER, (1998), Joseph, ISÂAC, The Chicago school, Birth of urban ecology, Paris, Aubier.

websites

https://www.almaany.com Arabic dictionary, August 8, 2023.

https://www.arabdict.com Arabic Dictionary, August 13, 2023.